الأديان وشرنقة الإعتياد (*)

المفارقة الكبرى ، كانت فى معجزات عيسى عليه السلام الغير مسبوقة ، وما لاقاه برغمها من مأساة غير مسبوقة بدورها .. من قبل عيسى ، كانت آية نبوة يحيى ولادته لأبوين شيخين طاعنين ، أما السيد المسيح ، فقد تأيد بمعجزات وخوارق لم يرها الناس من قبل ، حملت فيه مريم بغير أب ، وكلم الناس فى المهد صبيا ، وجعل الماء بأمر الله خمرًا فى عرس «قانا الجليل» ، وصور الطين على هيئة الطير ونفخ فيه فصارت طيرا بإذن الله ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وأحيا الموتى بإذن ربه ، وأخبر بنى إسرائيل بما يأكلون وبما يدخرون فى بيوتهم ، ومع ذلك كله ، ورغمه ، لم تفلح هذه الخوارق والمعجزات والبراهين والآيات ، فى زحزحة اليهود وإخراجهم من «شرنقة» الاعتياد ، وإنما قادهم ما انحرفوا به عن الناموس وشريعة الله ، وما ألفوه وتجمدوا عليه فى هذا الانحراف قادهم إلى أشنع مأساة عرفها تاريخ الإنسانية ، حين تآمروا وتكاتفوا ودفعوا الأحداث دفعًا إلى مأساة الصلب الذى صاحبه أبشع صور القسوة والعنف والتعذيب الذى انتهى بدق وصلب مخلوق حى لم يقارف وزرًا على الصليب حتى الموت ، فيما يؤمن المسيحيون أنه

(*) الأهرام ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٤.

ذات شخص السيد المسيح عليه السلام، بينما يؤمن الإسلام بأنه شُبّه عليهم، وأن الذى تعرض للتعذيب والـدق والصلب شخص شبه لهم فى صورة المسيح [النساء: ١٥٧] يخبر القـرآن المجيد أن عيسى عليه السلام أحس منهم الكفر، وبأنهم مكروا ومكر الله تعالى وهو سبحانه خير الماكرين.

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ٥٥].

*****